الفصل الثاني

الجماعات الأولية والسلوك الإجرامي

عندما يولد الإنسان يكون نقياً نظيفاً خالياً من كل صفة اجتماعية وثقافية، لا يهمه في بداية الأمر إلا إشباع حاجاته البيولوجية الأساسية، وتربية الغرائز الموجودة لديه. وكلما زاد نموه العقلي زاد مقدار استيعابه وفهمه للأشياء التي حوله. ومن خلال الاتصالات المحيطة به يصبح الشخص كائناً اجتماعياً ذا سلوك اجتماعي يتناسب مع كل موقف وكل ظرف. فهو يتعلم قيماً وعقائد وعادات، وتقاليد معينة.

إن هذه العملية من التفاعل بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه عملية ذات أهمية في بناء سلوك الفرد وشخصيته، منذ ولادته حتى نهايته. وهو ما يسمى بالذات الاجتماعية؛ إنها عملية بناء مستمرة ويشير إليها علماء الاجتماع، وعلماء النفس، وعلماء علم النفس الاجتماعي، بعملية التطبع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية.

إن الوسط الاجتماعي ذو أهمية بالنسبة للشخص، فالهدف الأول هو بناء شخصية الفرد بصفة مستمرة، والهدف الثاني هو ضبط وتوجيه سلوك الإنسان تبعاً للحياة الاجتماعية المحيطة به.

إن عملية الانتماء إلى محيط عائلي معين تكفل إلى حد بعيد تقارباً في النمط العام في القيم، والعادات، والسلوك. إن شخصياتهم تتشابه إلى حد كبير ولكنها ليست متشابهة تشابهاً تاماً لوجود عوامل مستمرة في التأثير على كل فرد. والفرد

لا يخضع لمؤثر واحد، بل يخضع لعدة مؤثرات كالعائلة، والمدرسة، والأصحاب في الشارع، والأصحاب في العمل، والنوادي، وغير ذلك من سبل الاختلاط والمؤثرات الخارجية. وللبحث في السبب الإجرامي، فإن علماء الجريمة يبحثون من خلال تعدد العوامل والأسباب. والغالبية منهم لا تهمل دور الوسط الاجتماعي ذا العوامل الكثيرة المتداخلة ذات الأثر على سلوك الإنسان.

إن الانحراف في السلوك هو نتيجة مخالطة تفاضلية[1]، كما يراها بعض الباحثين. فالفرد يتعلم السلوك الإجرامي عن طريق تعلم طرق ومبادىء خاطئة، أو عن طريق الانتماء إلى أشخاص معينين يحفزونه على ارتكابها رغم أن التنشئة الاجتماعية قد تكون جيدة.

أما الرأي الثاني فيرجع السبب في الانحراف السلوكي إلى قصور في التنشئة الاجتماعية، لكون الفرد يفتقر إلى معرفة أهمية القيم الاجتماعية التي تحيط به، فتكون النتيجة مخالفتها، وهذه المخالفة هي انحراف عن عادات وتقاليد ونظم اتفق عليها عن طريق المجتمع. ومخالفتها تعتبرجريمة. وهناك آخرون، معظمهم من أنصار مدرسة طب الأمراض العقلية، يرون أن سبب السلوك الإجرامي ناتج عن سوء توافق في الشخصية، ويعزى هذا إلى التنشئة الاجتماعية الخاطئة القاصرة، أو نتيجة اضطرابات عقلية ذهانية، أو نفسية عصابية[2].

إن الوسط الاجتماعي، أو التنشئة الاجتماعية ذات أهمية في بناء ما يعرف «بالشخصية الإجرامية»، فإذا تربى الطفل في وسط اجتماعي غير سليم وذي مفاهيم اجتماعية خاطئة فيما يتعلق بالشرف، والأخلاق والعدل، والولاء، والصدق وما شابه ذلك، فقد يتجه إلى سلوك إجرامي، غير مدرك أن ما قام به

---

(١) نظرية الاختلاط التفاضلي خرجت للوجود عام ١٩٣٩ م، للعالم الأميركي (ادوين سذرلاند) وتعني هذه النظرية أن كل شخص ينطبع بالطابع الثقافي المحيط به ويتشبَّه به، ما لم تكن هناك ثقافات أخرى تتصارع مع الثقافة المحيطة به وتوجهه إلى طرق أخرى مختلفة.

(٢) د. عدنان الدوري: أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي. (١٩٧٦ م)، ص ٢٨٧.

إنما هو انحراف في السلوك، وذلك لرداءة تنشئته في الوسط الاجتماعي الذي أخفق وقصَّر عن إرشاده إلى الطرق القويمة التي ترشده إلى ما له وما عليه، وتدله على ما يعتبر تدخلاً في شؤون الغير ومخالفاً للنظم والقوانين الاجتماعية. هذا بالإضافة إلى أن الفرد إذا خالف نظاماً من نظم المجتمع، فإنه يصبح مطارداً من رجال الأمن. وقد ينتمي إلى جماعة من نوعه تشبع ميوله ورغباته، وتصبح هذه الجماعة ذات أهداف إجرامية منفصلة وحدها عن المجتمع. وفي هذا الطور من حياة الجماعة الإجرامية تكون شخصية الفرد قد تبلورت وتأثرت فيكون رجوعه إلى المجتمع أمراً صعباً، وبهذا تكون شخصية الفرد قد تأثرت بالطابع الإجرامي. علماً بأنه ليس شرطاً أن يكون السلوك الإجرامي سببه قد نتج في المراحل الأولى من حياته، ولكن من الممكن أن يبدأ السلوك الإجرامي في سن متأخرة رغم تنشئته في وسط اجتماعي مستقيم، وذلك لاختلاطه ببعض المجرمين المحترفين، مما قد ينتج عنه تقليده لهم وهذا بدوره يقود إلى الانحراف والانتماء إلى جماعات إجرامية.

والسلوك الإجرامي وغير الإجرامي يمكن أن يتم تعلمه عن طريق الوسط الاجتماعي الأولي، اتصالاً بالجماعة الأولية، أو من خلال علاقة أولية. وهذا الفصل يناقش بعض هذه الجماعات الأولية ذات التأثير القوي على شخصية الإنسان، وهي الأسرة، والحي، والرفقة.

المبحث الأول
الأسرة ودورها في سلوك الفرد

إن العائلة هي من الجماعات الأولية ذات العلاقة الوطيدة بالمولود الجديد الذي تحتضنه منذ ولادته وتزوده بالمعرفة الضرورية ليقابل متطلبات الحياة ويعيش في المجتمع. فهي تكمل حاجاته الطبيعية الأساسية، والاجتماعية والنفسية، وذلك لشعوره بالأمن والحماية، والرعاية، والعطف فيها، فيدرك أنه جزء منها. وقد تعرضت العائلة في الوقت الحاضر إلى تغيرات «في كيانها ووظائفها». فقد فقدت العائلة في الوقت الحاضر كثيراً من وظائفها التربوية،

والدينية، ، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. وهذا بلا شك له تأثير كبير على نمو الفرد وسلوكه. إلا أنها ما زالت تحتفظ بدورها الأساسي في حضانة الطفل ورعايته في مراحل نموه الأولى، وهي أهم مرحلة من مراحل النمو الجسمي، والنفسي، والاجتماعي.

إن الأسرة مسؤولة عن بناء شخصية الطفل وبالتالي عن نمط سلوكه. وقد ذكر باحثون آخرون أن الأسرة مسؤولة عن تكوين أخلاقيات الفرد بوجه عام، وعن غرس صفات الصدق، والإخلاص، والأمانة، وبقية القيم الأخلاقية الأخرى في نفسه(١).

وهناك دراسات كثيرة تناولت أسباب الجنوح وعلاقته بالأسرة، وكذلك دور الأسرة المتفككة بالانحراف السلوكي، وبعض هذه الدراسات يرى أن الأسرة المفككة لها دور فعال في تكوين السلوك الإجرامي لدى الطفل وبعضها يرى خلاف ذلك.

ووجود الطفل في بيئة أسرية غير ملائمة ربما يكون من الأسباب ذات العلاقة الوطيدة في إيجاد البيئة الملائمة للانحراف السلوكي. ولكن هناك عوامل أخرى تساعد على الانحراف وهو مدى استجابة الطفل لتلك الظروف. إن الإنسان بطبيعته التركيبية النفسية يختلف من شخص إلى آخر، لهذا نجد أن استجابة كل فرد للعوامل الخارجية، في حالة الأسرة هذه، متباينة.

وإذا أخذنا الأسرة كوحدة، وجدنا أنها تعيش حسب نظم وعادات وتقاليد تمكنها من تأدية واجباتها على الوجه الأكمل. ومن ضمن هذه الأنظمة الضبط والتحكم في أفراد الأسرة. وقد أكد كثير من الباحثين أن الانحراف السلوكي يتزايد كلما قل الضبط(٢).

---

(١) Hartshorne and A. M. May, Studies in Deciet, New York, Macmillan, 1928, p. 60.
راجع أيضاً: Clifford Shaw, The Jack-Roller, University of Chicago Press, p. 120.

(٢) Cyril Burt, The Young Delinquent, Appleton-Century, Crafts, New York, 1933, p. 131.
أيضاً راجع كتاب د. عدنان الدوري: أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ص ٢٩.

إن الضبط والتأديب له إيجابياته كما أن له سلبياته. فنوع ودرجة الضبط والتأديب لها علاقة قوية بدرجة تأثيرها على الفرد. فالضبط المشفوع باللين والتفهم ربما يكون تأثيره إيجابيًا على سلوك الفرد، أما القسوة وعدم التفهم للطفل ربما يؤثر تأثيراً سلبياً عليه. والقسوة ربما تصلح لبعض الأطفال ولكن مردودها وقتي ويكون تأثيرها على نفسية الطفل في النهاية شديداً وربما نتج عن ذلك تكوين البغض والعداوة في نفس الطفل تجاه الوالدين. ولا شك أن موقف ورد الفعل لدى الطفل على نوعية الضبط والتوجيه ربما يحدد نمط السلوك الذي يسلكه، ووجود الفرد في أسرة متراحمة مترابطة يسود الوئام والانسجام أفرادها يؤدي في النهاية إلى التكيف الاجتماعي للفرد.

وهناك بحوث أخرى تبحث في مكان الطفل بين أفراد أسرته. وقد ذكر بعضها أن الأسرة الكبيرة العدد ربما يكون البعض من أفرادها جانحين وذلك بسبب تأثرهم بعوامل نفسية واجتماعية، لسبب كثرتهم وتولد الضغينة في نفوس بعض أفرادها، وربما لعدم مقدرة الوالدين على تلبية متطلباتهم الضرورية، أو الكمالية التي تخضع لتأثيرات المجتمع المحيط بهم، إلا أن هناك بحوثاً أخرى لا تؤيد هذه الفكرة، بل تقول إن منزلة الطفل بين أفراد أسرته لا تشكل عاملاً مهماً في سبب انحرافه(١).

كما أن هناك دراسات أخرى ترجع انحراف الأطفال إلى انحراف الوالدين. فالطفل مقلد ممتاز. وهو يتأثر بكل ما يحيط به من سلوك. وبالتالي فهو يقلد سلوك والديه ويحذو حذوهم في هذا المجال؛ فإذا كان سلوكهم مستقيماً فالطفل بلا شك سوف يقتدي بسلوكهم الحسن وإذا كان سلوكهم شاذاً فتأثير ذلك عليه أيضاً لا بد حاصل. ومن الأشياء السلوكية التي يتأثر بها الطفل المسكرات، والمخدرات، والسلوك الجنسي الشاذ، والجرائم الاجتماعية.

ومن الصفات العامة للأسر المتفككة ذات العلاقة بجنوح الفرد كما يراها (سذرلاند) الآتي:

---

(١) John Slavson, Causal Factors in Delinquency Research, American Sociological Society, Vol. 22, pp. 169-174.

١ ــ البيوت التي يكون بعض أفرادها من ذوي الميول الإجرامية أو الذين تتوفر فيهم ظاهرة تناول المشروبات الكحولية.

٢ ــ إذا كان الوالدان أو أحدهما غائباً بسبب وفاة، أو طلاق أو هجر.

٣ ــ انعدام الضبط الاجتماعي في البيوت.

٤ ــ إذا كان التحكم المطلق في العائلة بيد شخص واحد، أو كان فيها تحيز في المعاملة بين الأفراد، أو إذا كانت الأسرة لا تهتم بأفرادها، أو إذا كان التحكم بها غير ممكن لكثرة أفرادها أو إذا أصبح الغير يتدخل في شؤونها.

٥ ــ إذا كان هناك تعصب عنصري أو ديني بين أفراد الأسرة.

٦ ــ الأسرة المعوزة لأي سبب.

وثمة دراسات أخرى أخذت في البحث عن دور الأسرة في سلوك أفرادها السلوك الانحرافي، فتناولت قضية كل جانح على حدة، وحللت ظروف أسرته، ومن هذه الدراسات دراسة قام بها (وليم هيلي ــ William Healy)، في مجال جنوح الأحداث. وقد تناول في دراسته ألف طفل جانح في مدينة شيكاغو الأميركية، فوجد أن البيت غير الملائم يشكل ٢٢ ٪ من مجموع العوامل التي ربما تكون سبباً في الانحراف. كما أجرى دراسة أخرى على ألف طفل جانح، فوجد أن النسبة المذكورة آنفاً قد ارتفعت إلى ٦٠ ٪ والأخص الحالات التي فقد فيها الضبط أو ضعف[١]. وقد رأى أن جنوح الطفل لا يمكن أن ينتج عن سبب واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، ولكن لعدة عوامل مترابطة يكمل بعضها بعضاً.

وفي دراسة أخرى، تمت دراسة سبب جنوح الأحداث وقد قام بها (شيلدون وألينور جلوك) فوجدا ما يلي:

(١) William Healy, The Individual Delinquent, Boston, Little, Brown, 1913, 2p. 130-134.

١ ـ عند مقارنة الأطفال الجانحين مع غيرهم وجد أن الجانحين أكثر تغييراً لبيوتهم من غيرهم.

٢ ـ الأطفال الجانحون يسكنون في بيوت غير صحية ومزدحمة بالسكان.

٣ ـ الأولاد المنحرفون لا يعيشون مع الوالدين لأي سبب.

٤ ـ إن الأولاد المنحرفين لا يحترمون والديهم ولا يحترمون عادات وتقاليد الأسرة.

٥ ـ تمتاز البيوت التي ينتمي إليها ذوو السلوك المنحرف بالتفكك والافتقار إلى القيم والأخلاق وضعف الضبط، وعدم وجود أساليب للترويح عن النفس في المنزل.

٦ ـ يكون حجم أسرة الجانح في الغالب أكثر من غيرها عدداً، كما يكون هناك عداء بين أفراد الأسرة نفسها، وبينهم وبين الأقارب أيضاً[١].

إن الأسرة هي البيئة الطبيعية لنشوء الأطفال. وقد أثبتت التجارب التي قام بها كثير من العلماء أن الأسرة هي أفضل نظام يوفر للأطفال العوامل النفسية والثقافية. وقد أثبت علماء النفس أن ما يتعلمه الطفل من توجيه وإرشاد في أول حياته يستمر صداه في نفسه طوال حياته.

لقد أدرك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أهمية معاملة الأطفال وأوضح أن المساواة بينهم في العطف والحنان لها تأثير على نفسية الطفل وبالتالي على سلوكه السليم في المجتمع، كما أوضح أثر عدم المساواة فيما بينهم وأثر افتقادهم العطف والحنان وما يترتب على ذلك من انحراف في سلوك الطفل في مجتمعه. لقد نظر رسول الله إلى رجل له ابنان قبّل أحدهما وترك الآخر فقال له: «هلاّ سويت بينهما»[٢]؟.

---

(١) Sheldon and Eleanor Gluck, Unraveling Juvenile Delinquency, Cambridge, Harvard Univ. Press, 1950, pp. 107-133.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ٨٣٤، الاثنين ٢٨ ربيع الثاني، (١٤٠٢ هـ)، مطابع حنيفة، الرياض.

المبحث الثاني
دور الحي في السلوك

يقصد بالحي المنطقة التي يقطن فيها الفرد مع من فيها من الجيران. وقد اتضح مما سبق أن الأسرة لها أهمية كبرى في تنشئة الفرد وبناء الأسس المهمة في بناء شخصيته ورسم طريقه في الحياة إلى حد كبير. ولكن لا بد لنا أن نعرف أن الأسرة لا تعيش منفردة وحدها معزولة عن المؤثرات الأخرى الخارجية. لأن الأسرة تكون مرتبطة بمؤسسات أخرى لها أيضاً تأثير على دور الأسرة في تربية أفرادها وكذلك في التأثير على الأطفال أنفسهم. فالحي يهيء للأسرة كثيراً من الاتصالات والاختلاط، وهذا بدوره يؤثر على سلوك الفرد حيث يتخلق الفرد بقيم، وتعاليم، وعادات المجتمع المحيط به. فإذا كان هذا الحي فاسداً فإنه يساعد على إيجاد البيئة الملائمة لارتكاب الجريمة(١).

إن كثيراً من البحوث قد درست علاقة الحي بالانحراف السلوكي على أساس أن الانحراف في السلوك حصل نتيجة لتفاعل طويل بين الفرد والظروف الخارجية، وبين الفرد والأفراد الآخرين. وقد ذكر الأستاذ الأميركي (كليفورد شو) في دراسة تناول فيها خمسة إخوة أشقاء عرفوا بتاريخهم الإجرامي، كيف أن الحي لعب دوراً مهماً في سلوكهم الإجرامي. وقد وصف هذا الحي بأنه منعدم التنظيم الاجتماعي وهو حارة فاسدة، شجعت المنحرفين على ارتكاب الجريمة حيث أن كثيراً من ساكني الحي يحترمون المجرم ويعتبرون عمله نموذجاً للرجولة(٢).

عناصر الحي الفاسد كما ذكرت بحوث عدة:

١ ــ الحي المزدحم بسكانه الفقراء الذي تنتشر فيه الرذيلة.

---

(١) Rath Shaul Cavan, Criminology, New York, Thomas Crowell Co., 1948, p. 74.

(٢) Clifford R. Show and James Mc Donald, Brothers in Crimes, Chicago, University Press, 1942. Chapter 5; Donald Taft, Criminology, pp. 216-219.

٢ ـ الحي الفقير جداً الذي تحدث فيه السرقات البسيطة كجزء من الحياة اليومية.

٣ ـ الحي المغلق طبيعياً الذي توجد فيه فوارق اجتماعية.

٤ ـ الحي الذي يسكنه أفراد غير متزوجين وغير متجانسين ومن أقليات متعددة.

٥ ـ حي لأقلية معينة من البشر.

٦ ـ الحي الذي تكثر فيه الجرائم الجنسية، وطرق الابتزاز.

٧ ـ أحياء عادة تكون ريفية يستخدمها المجرمون للاختفاء فيها أحياناً، وأحياناً يستخدمونها مسكناً سريًّا لهم[1].

ووجود الأطفال في مثل هذا الحي الفاسد يمهِّد للطفل شتى سبل الانحراف وفيه يستطيع السارق أن يتخلص من سرقته ببيعها دون خوف، والمجرم يستطيع أن يجد ملاذاً يلجأ إليه بعيداً عن عيون رجال الأمن. إن مثل هذا الحي ييسِّر ويعرض للفرد كثيراً من المغريات دون خوف، ويكون ارتكاب الجريمة سهلاً ميسَّراً، لأن كثيراً من نزلاء هذا الحي يقومون بارتكاب جرائم عدة دون خوف أو خجل لكون ذلك أصبح جزءًا من حياتهم اليومية.

والأطفال بطبيعتهم يميلون إلى التقليد وحب الاستطلاع وحب الشيء الغريب، فيندفعون إلى كل شيء جديد في مثل هذا الحي، وربما يؤدي بهم هذا العمل إلى الانحراف.

إن الحي هو حلقة الاتصال بين الأسرة والمجتمع. وهي تخضع خضوعاً مباشراً لظروف الحي. فإذا كان الحي فاسداً فإن تأثير ذلك على أفراد الأسرة سيكون كبير الاحتمال لأنه يرسم للساكنين نموذج الحياة اليومية. لذا فإن الحي يكون مرآة صادقة تعكس قيم أفراده. ومع كل هذا فليس كل فرد ساكن في حي متدنٍ يعتبر منحرفاً. وليس كل فرد يتأثر بنفس الدرجة. فطبيعة الفرد وتركيبه النفسي والعضوي ومقدار تأثره، كل ذلك يختلف من شخص لآخر. والمخالفة تتوقف بالدرجة الأولى على نوعية وماهية وظروف المخالطة.

---

(١) مرجع سابق، د. عدنان الدوري: أسباب الجريمة والسلوك الإجرامي، ص ٣٠٠.

المبحث الثالث
دور الرفقة في السلوك

يختار الطفل عادة أصدقاء له يقضي وقت فراغه معهم. وهو يختار منهم من تتفق ميولهم مع ميوله، وكذلك الشاب يختار شاباً مثله له تقريباً نفس الصفات ونفس الأهواء، والرغبات، والنزعات، والمنزلة الاجتماعية، والفرد من خلال هذا الاختيار تكون له علاقات اجتماعية جديدة تختلف عما عهده داخل أسرته. وقد يختبر الفرد، سواء أكان طفلاً أو شاباً، مدى قدرته على تخطي الحدود التي رسمت داخل الأسرة. وهذه هي أول نزعة استقلالية يتحدى بها السلطة الأسرية، ويحدث ذلك من خلال قوة الجماعة الجديدة. فالطفل يحاول تقليد من هو أكبر منه، وهذا بدوره يحاول تقليد الأكبر منه. وفي بعض الأحيان يكون التقليد لأحداث مراهقين، والمراهق يسعى إلى تقليد من هو أكبر منه، فأصول الدافع الاجتماعي يبدأ مع جماعة اللعب. والدافع الاجتماعي بالنسبة للطفل يشكل الذات الاجتماعية له.

ووجود الفرد بين أصحاب اللعب يقوده إلى الولاء والطاعة، وإلى التعصب لهذه الجماعة والدفاع عن قواعد هذه الجماعة. يقول الأستاذ (ديفد رايسمان ـ David Riesman): إن الرفقة تصبح المؤسسة الرئيسية في تنشئة الطفل اجتماعياً، بعد خروجه عن نطاق عائلته، إلى جماعة أولية أخرى. وهنا الجماعة تعيش في بيت واحد ولها صفات اجتماعية متفاوتة[1].

وقد أوضحت بعض الأبحاث أن ظاهرة الجنوح، في مناطق الانحراف، تكون ظاهرة اجتماعية، أي أن الفرد قليلاً ما يرتكب جريمة بمفرده. فالأحداث غالباً يكونون مع بعضهم بعضاً، يشاركون في أعمالهم معاً، وهذه الجماعات يطلق عليها العصبة. وهذا لا يعني أن نشاط أي عصبة هو نشاط انحرافي.

---

(١) د. عدنان الدوري: أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ص ٣٠٥.

راجع أيضاً: David Riesman and Reel Dewey and Nathan Glazer, The Lonely Crowed, New Haven, Yale University Press, 1950.

ولكنها تشكل أرضية صالحة لنمو الجريمة والجنوح، لكون معظم أفرادها يتألفون في الغالب من أطفال هاربين من عائلاتهم فيصبحون بدون رقابة وضبط.

وهؤلاء يكونون مهيئين للانحراف عند أي فرصة مناسبة.

إن عصبة الأطفال الجانحين تتصف بالتنظيم، والتعاون، والمشاركة، والولاء. إذ أن لها قائدها، وكلمات سرية يتداولها أفرادها فيما بينهم. كما أن لهم أماكن معينة لعقد اجتماعاتهم، ولهم نشاط إجرامي غير محدود. فالعصبة الجانحة لا تعني بالضرورة جماعة اللعب ذاتها إذ أن لكل منهما تركيبها الخاص. فجماعة اللعب تعتمد على مقدار ونوعية الرقابة العائلية وكذلك المجتمع، بخلاف العصبة الجانحة. فهي جماعة لا تخضع لأي سيطرة أو رقابة. إن عصبة الأطفال الجانحين غالباً تكون حلقة للانتقال من عالم الجانحين إلى عالم المجرمين المحترفين. وكلما تقدم الزمن بانتماء الطفل لعصبة المنحرفين كلما زاد احتمال اتصاله بالمجرمين البالغين، ومن ثم يسهل استخدام الحدث في تنفيذ أعمال إجرامية، كالنشل، وتمرير العملة المزيفة، والتسول.

وهذه العصابات تقوم بتدريب أفرادها على وسائل العنف والعدوان، وسلوك طرق شتى لارتكاب الجريمة والتخلص منها. وتتم طريقة الاستقطاب إلى مثل هذه العصابات عن طريق تفاعل اجتماعي مزدوج مستمر يجري بين أفراد على درجة كبيرة من التوافق، ويقوم كل منهم بتقليد الآخر.

إن انتماء الطفل إلى مثل هذه العصبة، أو التجمعات، ربما يكون ناتجاً عن تقصير أسرته في الضبط، وكذلك إلى مجتمعه الذي يحيط به لعدم إيجاد طرق سليمة لشغل أوقات الفراغ. وقد قام (فردريك تراشر ــ Frederic Thrasher) بدراسة ١٣١٣ عصابة أطفال في مدينة شيكاغو الأميركية وحدها[١]، بالإضافة إلى دراسته لعصابات أطفال أخرى من مدن أخرى كمدينة نيويورك، وبوسطن، وكليفلاند، ولوس أنجيلوس وغيرها. ووجد أن معظم هؤلاء المنحرفين يعيشون في مناطق ذات أعمال إجرامية بمعدلات عالية جداً في الجنوح. وذكر أن صنف

(١) Frederic M.Thrasher, The Gang, University of Chicago Press, 1929, pp. 46-47.

العصابات هي جماعات طائشة خرجت عن طاعة الأسرة، وخالفت عادات وتقاليد المجتمع[1].

إن المجتمع عامل هام من عوامل التربية لما له من تنوع وأثر. فهو يشمل كل ما في المجتمع من أصدقاء وإعلام ومؤسسات دينية وثقافية واجتماعية وما إلى ذلك. إن الإسلام يعطي صورة لكرامة المجتمع وتأثر بعضه ببعض. وقد ورد في الحديث «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوْا ونجوا جميعاً»[2].

الإسلام في هذه الحالة يضع قاعدة للمجتمع تجعل كل فرد يحس الإحساس الكامل بالمسؤولية (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). كما يفرض على المسلم أن يغيّر المنكر الذي يراه في حدود استطاعته (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). إن الإسلام يجعل المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

إن الرسول، ﷺ، قد وضح للمجتمع أثر المجالسة على الأفراد وأثرها على تصرفاتهم. فإذا كان الجليس والرفيق منحرفاً فإن له تأثيراً على مجالسه، وبالعكس إذا كان مستقيماً فإن تأثيره يكون إيجابياً كما وضح القرآن أن الاختلاط بالمنحرفين والظالمين له تأثير سيء على الأفراد ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾[3].

□ □ □

---

(١) مرجع سابق: Frederic M.Thrasher, The Gang, P.48.

(٢) روان النعمان بن بشير.

(٣) هود الآية (١١٣).

الفصل الثالث

التعليم ودوره في السلوك

إن السؤال الذي يهم المجتمع في بحث التعليم والتربية هو ما إذا كان انتشار التعليم في المجتمع يؤدي إلى تقويم السلوك، وبالتالي إلى تخفيض معدل الجريمة، أم أن تدني التعليم يؤدي إلى تدني السلوك ومن ثم يؤدي إلى زيادة نسبة الجريمة.

إن عملية التعليم جزء من التنشئة الاجتماعية التي لا تكون المدرسة وحدها المسؤولة عنها، بل البيت أيضاً مسؤول إلى جانب المدرسة لتعليم روادها، ولكن المدرسة تتحمل الجزء الأكبر في عملية التربية والتعليم لأنها ليست حلقة وصل بين المدرسة والمنزل فقط بل هي أيضاً حلقة وصل بين مرافق المجتمع. لذا كان تحديد أهداف وبرامج المدرسة، وتعيين واجبات المعلم أمراً ضرورياً لكي تقوم المدرسة بتأدية خدمتها للمجتمع. فإذا استغل هذا التنظيم لصالح المجتمع بتدريس وتوجيه الدارسين توجيهاً رشيداً أساسه الأخلاق المبنية على تعاليم دينية حنيفة، فإنها ولا شك سوف تنتج جيلاً واعياً عارفاً ملمًّا بالشؤون اللازمة لإقامة مجتمع مستقيم. وإذا ما استغلت مراكز التعليم لأهداف غير شرعية فإن النتائج ستكون، بلا شك، سلبية إذ على قدر الغرس يكون الحصاد.

وهناك بعض الأشخاص يرون أن مهمة المدرسة تقتصر فقط على تقديم وتعليم محتويات العلوم المقررة للدراسة. غير أن مهمة المدرسة لا تقف عند هذا الحد؛ بل تتعدى ذلك إلى تنشئة صالحة مستمرة. لهذا يجب أن تطعم هذه

الحصيلة بطعم متكامل من القيم والمثل والأخلاقيات التي تدعو إليها العقيدة السمحة.

وفي الأزمنة الماضية كانت الأسرة تتحمل الجزء الأكبر في تربية الأطفال، وكان لها الحق في اختيار ما هو أحسن في نظرها لأطفالها، وقد كانت النتيجة مرضية إلى حد كبير وخاصة فيما يخص السلوك والآداب التي تحكم تصرفات الأطفال. ولكن في الوقت المعاصر، كثرت أعمال الأسرة وتشعبت فانشغلت أو أشغلت نفسها بهذه الأعمال عن الأطفال فأهملتهم واعتمدت اعتماداً كلياً على المؤسسات التعليمية لتقوم بدور المعلم المرشد المثقف والموجه، ومن غير شك فإن النتائج التعليمية تعكس ما يدرّس فيها. لذا فإن المدرسة كصرح تربوي لا ينجو من اللوم كاللوم الذي يوجه للمؤسسات الاجتماعية الأخرى لتقصيرها في مكافحة الجريمة.

المبحث الأول
المؤسسة التعليمية والعوامل التي ربما تكون السبب في تقصيرها

١ ـ اختلاف المستوى التعليمي بين طلاب المدارس، وذلك لاختلاف قدراتهم الطبيعية والعقلية.

٢ ـ ليس في وسع المدرسة أن تقدم التعليم لكافة أفراد المجتمع، وذلك لأسباب عدة منها عوامل اقتصادية، وفنية وعدم توفر جميع متطلبات التعليم، وعلى رأس ذلك عدم توفر المدرسين المؤهلين تأهيلاً أكاديمياً، وسلوكياً.

٣ ـ تخفق المؤسسة التعليمية في كثير من الأحيان في إرشاد وتوجيه الطلبة والاعتناء بمن يحتاج منهم إلى عناية نفسية.

٤ ـ كثرة الهروب والتغيب عن المدرسة قد يكون سبباً في الانحراف. وقد ذكرت بعض الدراسات أن الهروب المتواصل من المدرسة كان من

الحالات الشائعة بين أكثر من ٦٠ ٪ من الأطفال الجانحين الذين قدموا للمحاكمة في محكمة الأحداث الأميركية؛ وفي دراسة أخرى تناولت ٢٠٢١ مجرماً ظهر أن ٤٠ ٪ منهم سبق أن أرسلوا إلى سجون الأحداث بسبب هروبهم من المدارس[١].

إن البيت والمدرسة لا يمكن أن يكونا مسؤولين مسؤولية تامة عن الانحراف الذي يسلكه أولادهم. لكن تقصيرهم في عدم إحاطة الأطفال بما يحتاجونه في تعاملهم اليومي في مجتمعهم قد يكون سبباً غير مباشر في جنوح الأطفال. وكل ما في الأمر، أن البيت أو المدرسة يسهمان بقسط كبير في بلورة بعض اتجاهات الطفل. ويدل الاتجاه السائد بين الباحثين على أن نسبة الانحراف تزداد كلما نقص مستوى التعليم للأفراد، والعكس بالعكس. إن الانعكاس غير المباشر الذي يعكسه تدني مستوى التعليم يأتي عندما يتصل الطفل غير المتعلم مع بيئة فاسدة غير متعلمة، حيث تكون الظروف مهيأة لمثل هذا الطفل لأن يسلك السلوك غير السوي.

المبحث الثاني
آراء الباحثين عن دور التعليم
في السلوك الإجرامي

لقد اختلف الرأي في شأن التعليم وأثره على السلوك الإجرامي. وفيما يلي بعض الآراء:

١ ــ يتجه (بونجر ــ Bonger) إلى فكرة أن انتشار الأمية يعتبر من الأسباب المؤدية إلى الانحراف في السلوك.

٢ ــ (جاروفالو ــ Garofalo) يقول: إن انتشار التعليم لا يعد من العوامل التي تقاوم الإجرام، وذلك، على حد قوله، لأن الغريزة الخلقية إذا انتفت

(١) A.C.Johnson, Our Schools make Criminals, Journal of Criminal Law and Criminology, 33:310-315, Nov-Dec., 1942.

فمن المشكوك فيه أن تسترجع عن طريق التعليم خلال فترة الطفولة المبكرة. وهو يرى ألّا يؤخذ التعليم في الاعتبار بمفهومه التربوي فقط لأنه أيضاً يعني مجموعة تأثيرات خارجية، وسلسلة من المشاهد والأحداث التي تؤثر على تصرفاته بطرق ربما تكون غير مرضية. وقد رأى أن الأسرة تؤثر على روح الطفل أكثر من تأثير التعليم عليه[١].

٣ ـ إيتين دي جريف (Etienne de Greef)، يرى أن المجرم بوجه عام أدنى تعليماً من غيره، وهذا يرجع إلى الشخص نفسه وإلى محيطه الذي يعيش فيه، وقد قال: «ونحن نعتقد أننا لو أخذنا كل جانٍ على حدة فإن علم التعليم يدخل في عداد مجموعة أخرى من العوامل ويلعب دوراً هاماً في هذا المجال رغم كل شيء. ويستفيد أعداء دور التعليم بوصفه مقاوماً للجريمة من صعوبة عزل هذا الدور وإبرازه بالإحصاءات كما لاحظ (جاكار ـ Jacquart). وفي رأينا أن تأثير نقص التعليم من زاوية الإجرام العام يعتبر هاماً جداً. ومن جانب آخر فإننا عندما نوجد إزاء الجاني نفسه فإننا نلاحظ أن نقص التعليم ليس هو فحسب الذي يلعب بذاته دوره في ظاهرة الجريمة، بل إنه يعبر فقط عن وسط معين يعاني نقصاً معيناً يتعذر تحديد مدى تأثيره بوجه الدقة»[٢].

٤ ـ (إدوين سذرلاند ـ Edwin Sutherland) (ودونالد كريسي ـ Donald Cressey). ذكرا في مؤلفهما «مبادىء علم الإجرام» أن المدرسة ليست مخصصة في جوهرها لمنع الجريمة.. ولكن لها نفس العلاقة بالانحراف مثل ما للبيت بذلك[٣].

هناك آراء كثيرة تبين أنه من الاعتقادات السائدة أن ارتفاع مستوى

---

(١) La Criminologie, Trad FV.p.281-282.
هذا المرجع أخذ من كتاب د. رؤوف عبيد: مبادىء علم الإجرام، ١٩٧٢م، ص ١٠٦.

(٢) Etienne de Greef, Introduction à la Criminologie, Paris, 1948, Vol. 1, p.208.

(٣) راجع كتاب د. رؤوف عبيد: مبادىء علم الإجرام، ص ١٠٧، مرجع سابق.

التعليم يساعد على مكافحة الجريمة، وارتفاع نسبة الأميين يساعد على ارتفاع نسبة الجريمة. ولكن هذه الآراء لم تثبت بالإحصاءات الدقيقة كدليل قاطع. وقد ثبت من الإحصاءات أن هذه القضية تختلف في بعض الدول عنها في دول أخرى في نتائجها ومدلولاتها. وقد وجد على سبيل المثال أن نسبة الأميين بين المنحرفين سلوكياً تفوق نسبة المتعلمين في بعض البلدان مثل ألمانيا وفرنسا وايطاليا وكذلك في المملكة العربية السعودية. ومن واقع إحصاءات وزارة الداخلية لعام ١٣٩٨هـ اتضح أن مجموع مرتكبي الجرائم الجنائية بلغ ٨٥٣٩ شخصاً منهم ٥١١٢ شخصاً أمياً، أي بنسبة ٥٩,٩ ٪، وكانت نسبة المتعلمين ٤٠,١ ٪ أي أن عددهم بلغ ٣٤٢٧ فرداً[١]، بينما وجد أن نسبة المتعلمين بين المنحرفية سلوكياً تفوق نسبة الأميين في بلجيكا، وبلغاريا، وهنغاريا[٢].

إن الإحصاءات لكي تكون أقرب إلى الحقيقة لا بد أن تتوفر فيها عدة شروط، منها الحصول على بيانات أشمل بشأن نسبة الأميين من المجرمين إلى المجموع الكلي للشعب، وكذلك نسبة المتعلمين إلى المجموع الكلي للشعب، ومن ثم مقارنتها بالنسبة للمجموع. ولا بد أن تكون الجرائم متنوعة، وفي أوقات مختلفة ومعينة ومتعددة.

إن مستوى التعليم لا يكفي وحده لأن يكون مؤشراً سليماً دقيقاً لمعرفة سبب الإجرام. أي إن ارتفاع أو انخفاض نسبة التعليم بين المجتمع لا يكفي لأن يكون سبباً للانحراف. فالتعليم لكي يعتبر عاملاً من عوامل خفض الجريمة، أو مكافحتها لا بد أن تتوفر فيه الشروط التالية:

١ ــ أن يكون التعليم قد أسس على مستوى عالٍ من الأخلاق. وهذا يكون عن طريق:

أولاً: اختيار المدرسين من ذوي الأخلاق الحميدة والخصال النبيلة الذين يكونون بدورهم قدوة صالحة للدارسين.

---

(١) الكتاب الإحصائي لوزارة الداخلية في المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٨هـ، ص ٤٦.

(٢) د. رؤوف عبيد: مبادىء علم الإجرام، ص ١٠٥، مرجع سابق.

وثانياً: أن تكون المواد الدراسية ذات صبغة قيمة، وأن يراعى فيها الابتعاد عن الأفكار التي لا تفيد الطالب، وعن الآراء السيئة التي ربما يكون لها الأثر العميق في تفكيره ومن ثم يتصف بصفاتها غير الحميدة، لأنه في هذه السن يكون قابلاً للتأثر بأي فكر.

٢ ـ مستوى التربية ـ لا بد أن تكون التربية سليمة، تهدف إلى تهذيب النفس وتوجيهها توجيهاً اجتماعياً سليماً يراعى فيها الموضوعية، وأن تكون ذات مبادىء تقوم على التواضع والمحبة والمساواة وعدم حب التسلط.

٣ ـ التوجيه السليم في النواحي الدراسية ـ فالفرد يحتاج في كثير من الأحيان إلى نوع من التوجيه حتى يمكن أن يختار ما هو مناسب لنفسه، وكذلك ما يحتاج إليه مجتمعه حتى لا يجد نفسه في النهاية عاطلاً عن العمل مما يؤدي به إلى التسكع والانخراط في أعمال السلوك المنحرف.

ومن الطبيعي أن نرى تفاوتاً في الإحصاءات الخاصة بدور التعليم والانحراف السلوكي، لأن التعليم تتباين وظائفه من مجتمع إلى آخر. وبعض النظم التعليمية ينظر إلى التعليم على أنه جزء من النظام السياسي، وبعضها يربطه بمؤسسات دينية، والبعض الآخر يكون مطلق التصرف. ومن هنا يتضح سبب التباين في الإحصاءات.

□ □ □

الباب السادس

إدمان المشروبات الروحية والمخدرات والسلوك الإجرامي

الفصل الأول

إدمـان المسكـرات والسلوك الإجرامي

هناك تباين في تبرير استعمال الفرد للمشروبات الروحية وتعدد في أسباب ذلك.

فكثير من الناس يرى أن السبب في تعاطيه للكحول هو للمجاراة الاجتماعية، والبعض يرى أن الاستعمال راجع إلى أغراض شخصية، كالاسترخاء أو النوم، أو لزيادة الحيوية والإنتاج. كما أن البعض الآخر يرى أن استعمالها هو لمساعدته على نسيان الهموم والأحزان والتغلب على المشاكل النفسية أو العائلية.

إن الأعذار والتبريرات السابقة لاستعمال الكحول، لا تعطي الحق للفرد في استعمال هذا المسكر لأن هذه المبررات مبررات شخصية اتخذها الإنسان ليخفف من الانتقادات التي توجه إليه لكي يلقي لومه على الإدمان على غيره.

حالة الإدمان:

هي عندما يتم استعمال الكحول باستمرار متواصل، وعندما يطلب الشخص المزيد منها، ومن جراء ذلك يفقد الشخص السيطرة على مدى استعماله الكحول، فيتناولها في أي وقت وفي أي مكان وبأي شكل.

تعريف السكر في الشريعة الإسلامية:

عرف السكر في الشريعة بعدة تعاريف، وقد رأى أبو حنيفة أن معيار

السكر هو فقد الوعي، كما أن جمهور الفقهاء يرى أن معيار السكر هو الهذيان أي عدم معرفة الشخص لما يقول[1].

إن الحد الفاصل بين السكر والإفاقة هو أن يعرف الإنسان ما يقوله، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون. . .﴾[2].

لقد أُجْرِيت دراسات كثيرة على إدمان الكحول ومدى أثره على شخصية المدمن، ومدى ما ينتج عن ذلك من أمراض جسمية وعقلية يمكن أن تسبب للشخص مشاكل شخصية واجتماعية وعائلية.

وما توصل إليه الباحثون من فرضيات، هو أن الكحول تحدث اضطراباً في الوظائف الجسمية والعقلية للمدمن. كذلك يفترضون أن المدمن يعاني من سوء التوافق والكبت الاجتماعي. كما أن تعاطي المسكرات يسمح للنزوات العدوانية المكبوتة بالظهور. وقد ذكر الباحثون أن السكر هو «سم أخلاقي» حيث أنه يضعف الجانب الأخلاقي لدى الإنسان، كما يحدث تغيراً في مقدرة وذكاء الفرد، مما يدفعه إلى فعل كثير من الأشياء دون تمييز. كما ذكروا أن الإدمان على الكحول يؤدي إلى الكسل، والتهاون في العمل، ومن ثم التشرد.

وفي مجال السلوك الإجرامي، فإن تعاطي المشروبات الروحية وكذلك الإدمان يكون في كثير من الدول جريمة في حد ذاتها تعاقب عليها القوانين[3].

هذا بالإضافة إلى أن الإدمان قد يؤدي إلى ارتكاب جرائم أخرى بصفة مباشرة أو غير مباشرة، كجرائم القتل والاعتداء والاغتصاب، وهتك الأعراض، وجرائم التشرد، وعدم القدرة على الالتزام بمسؤوليات المدمن تجاه عمله وأسرته. ولا شك أن الإدمان على المسكرات يعد في الوقت الحاضر أحد

---

(١) محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٥٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) Ruth Shaul Caven, Criminology, (New York: Thomas Crowell Co., 1948), P. 213.

العوامل التي تأكدت صلتها بالجريمة[1]. فهي توقف قوى الإنسان الرادعة وتقوي القوى الإجرامية إلى حد كبير.

ومن واقع دراسات سابقة، ثبت أن ٩٥ ٪ من الآباء الذين يعاملون أولادهم معاملة سيئة هم من مدمني الخمر. ومن كل أربع حالات قتل بطريقة الخطأ تكون حادثة واحدة من مدمني الخمر، كما أن بين كل أربعة من الهاجرين لأسرهم يكون ثلاثة منهم من مدمني الخمر. كما أن ٦٠ ٪ من الجرائم الجنسية ترتكب من قبل مدمني الخمر. كما أن كثيراً من الناس يتعاطون المسكرات عمداً ليتغلبوا على العوامل النفسية الرادعة مما يؤدي بهم إلى الاندفاع والتهور.

ويمكن للقارىء أن يدرك مدى خطورة الإدمان على المسكرات من واقع الإحصاءات التالية. لقد وجد في فرنسا أن هناك خمسة ملايين فرنسي من مدمني الخمر، كما أن كل شخص فرنسي يصرف ١٠ ٪ من دخله على المشروبات الروحية.

أما في الولايات المتحدة الأميركية، فهناك ٧٠ مليوناً يتعاطون الخمور. من بينهم حوالي خمسة ملايين من مدمني الخمر. وتقدر الخسارة المالية المترتبة على ذلك بما يزيد على مليار دولار سنوياً[2].

ولا بد أن نلاحظ أن الأمور المترتبة على تعاطي المشروبات الكحولية تختلف من شخص لآخر، حسب قدرته على احتمال المادة المسكرة. حيث إن البعض يحتمل كمية معينة من الخمور بينما لا يحتمل تلك الكمية شخص آخر مما يؤثر على شخصيته وتصرفاته. كما أن هناك أشخاصاً يشعرون بالتعب بعد تناولهم للمسكرات بينما يشعر آخرون بالقدرة على التغلب على أشياء كثيرة ولكنها تثير فيهم حالة من العداء، ومثل هؤلاء الأشخاص تكون المسكرات عاملاً محفزاً لهم لارتكاب الجريمة.

---

(١) د. محمد زكي أبو عامر: دراسة في علم الإجرام والعقاب. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨١م، ص ١٤٢.

(٢) د. محمد زكي أبو عامر: المرجع السابق، ص ١٤٢.

أما الأشخاص الذين يضمرون العداوة، عداوة العنصرية مثلاً، فإن الخمرة تكون بمثابة عامل مساعد لهم لإخراج حقدهم ضد من يكرهون. وقد تبين من دراسة سابقة أن المجرم الذي يرتكب جرائم قتل دموية يصبح متعسفاً ويثور لأتفه الأسباب عند تعاطيه للمسكرات ولو بكميات قليلة[1].

إن رغبة الإجرام الكامنة في نفس الشخص تتضاعف بتناول المسكر وبتناوله أيضاً يزول من نفسه الخوف من العقوبة ومن رأي مجتمعه الذي يحول دون تنفيذه لجريمته. كما أن كثيراً من المجرمين يتناولون كمية من الخمر عن قصد، قبل شروعهم في ارتكاب الجرائم.

لقد اتضح من التجارب التي أجراها كثير من الباحثين أن الحركة الإرادية لدى الإنسان تقل بنسبة ٦ ٪ بعد تناوله ١٠٠ سم^3 من محلول به ٢٥ سم^3 من الكحول النقية.

وفي البحث الذي أجراه (فرنون ــ Vernon) عن أثر الكحول في سرعة الناسخ بالضرب على الآلة الكاتبة ودقته، وجد أنه عندما يتعاطى ١٥٠ سم^3 من محلول مذاب به ٣٠ سم^3 من الكحول مع الطعام فإن سرعة الكتابة لا تتغير لكنها تزيد من نسبة الأخطاء بنسبة ٦٧ ٪، وإذا كان التعاطي يتم من غير تناول الطعام فإن السرعة تنخفض بنسبة ٥,٦ ثانية، كما تزيد نسبة الأخطاء إلى ١٠٥ ٪. وما توصل إليه (فرنون) هو أن حركة الشخص لا تبطىء فقط ولكنها تصبح عشوائية، مما ينتج عن ذلك عدم إنجاز الفرد ما كلف به من عمل[2].

كذلك قام (جيس ــ Jess) في دراسة له عن أثر الكحول على القدرة العقلية في الحساب، ووجد أنها تقل بنسبة تتراوح بين ٥ إلى ١٢ ٪ بعد تعاطي كمية من الكحول تتراوح بين ١٠ إلى ٤٠ جراماً[3].

---

(١) د. محمد زكي أبو عامر: دراسة في علم الإجرام والعقاب، ص ١٤٣.

(٢) راجع كتاب د. رؤوف عبيد: مبادىء علم الإجرام. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٢م، ص ٢٧٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٧٦.

ولإيضاح بعض الخصائص لشخصية المدمن على الخمر، قام (تايبوت ـ Tiebout) بدراسة مائتي شخص مدمن خلال تسع سنوات. ومن سمات شخصية المدمن ما يلي[1]:

١ ـ رغبته في السيطرة.
٢ ـ ازدياد شعوره بالاعتداء على الغير.
٣ ـ عدم القدرة على كبح انفعالاته السلبية.
٤ ـ شعور بالانطواء والانعزال.
٥ ـ شعور بالنقص أحياناً وبالتفوق أحياناً أخرى.
٦ ـ يتعطش للكمال.

المبحث الأول
أسباب إدمان الخمر

الإدمان على الخمر يشبه الأمراض المعدية، مثل مرض السل. فمرض السل تنقله جرثومة، من مريض موجود مصاب بالسل علماً بأن إصابة هذا المريض بالسل ترجع إلى خصائص في الجرثومة، وإلى خصائص أخرى في الفرد المريض، وأيضاً إلى خصائص تتعلق بالبيئة[2].

وفيما يتعلق بالإدمان، هناك عوامل تتعلق بالمادة نفسها التي يدمن عليها الشخص، وهناك عوامل تتعلق بالشخص نفسه، وخواصه النفسية والجسمية، ثم هناك أيضاً عوامل تتعلق بالبيئة. وفيما يلي نلقي بعض الضوء على جزء من العوامل:

١ ـ تركيب المادة وخواصها. نجد أن تركيب الحشيش يختلف عن تركيب الخمر كما يختلف عن تركيب عقاقير الهلوسة. هذا الاختلاف الكيميائي

---

(١) راجع كتاب الدكتور رؤوف عبيد: مبادىء علم الإجرام. مرجع سابق، ص ٢٧٧.

(٢) دار نقاش حول هذا الموضوع في ندوة في تلفزيون المملكة العربية السعودية في ١٤٠٣/٣/٤هـ مع عادل الدمرداش، رئيس وحدة الأمراض النفسية بمستشفى الطب النفسي.

يؤدي بالتالي إلى التباين والاختلاف في ظهور الإدمان. فمثلاً عندما يستعمل الشخص مخدر الهروين بانتظام لمدة أسبوع فإنه يصبح مدمناً، وإذا تعاطى المنومات لمدة أسبوعين فإنه يصبح مدمناً. أما الإدمان على الخمر فيستغرق سنوات عدة.

٢ ــ طريقة الاستعمال. إن الشخص الذي يأخذ العقار عن طريق الاستنشاق أو عن طريق الفم يختلف عن الشخص الذي يأخذه عن طريق الوريد. فتعاطي المادة عن طريق الوريد يسبب الإدمان بسرعة أكبر من تعاطيها عن طريق التدخين أو الاستنشاق.

٣ ــ سهولة الحصول على المسكر وتوفره. كلما كانت المادة متوفرة، كلما كان الحصول عليها متيسراً وبالتالي كان الإدمان عليها أسهل.

٤ ــ تأصل المسكر في المجتمع. كلما كانت الخمرة معروفة ومستعملة منذ زمن طويل، كلما كان الاستعداد لحدوث الإدمان أكثر. ونجد المدمنين في مختلف البلدان يختلفون عن بعضهم بعضاً إذ نجد البعض منهم يدمن على الخمر بينما نجد البعض الآخر مدمناً على الحشيش وعلى الأفيون.

شخص المدمن:

هناك بعض الدراسات تقول: إن حالة الإدمان حالة موروثة، ولكن هذا الأمر، لم تثبت صحته وهو غير مؤكد. كما أنه لا يوجد شخص له صفات نستطيع على ضوئها التنبؤ إن كان هذا الشخص سيصبح مدمناً على الخمر، ولكن ثبت مؤخراً أن هناك بعض الصفات تظهر بشكل خاص في الأشخاص الذين سيصبحون مدمنين على الخمر. ومن هذه الصفات:

١ ــ سرعة اليأس.
٢ ــ عدم المثابرة.
٣ ــ سرعة التوتر والقلق من المواقف البسيطة التي لا تسبب القلق للأشخاص الآخرين.

٤ ــ إن شخصية المدمن تتصف ببعض صفات عدم النضوج النفسي، وعدم النضوج الانفعالي بصورة خاصة.

٥ ــ صورته عن نفسه مشوهة مهزوزة.

٦ ــ يعاني أحياناً من الاحتقار النفسي.

إن بعض الأمراض النفسية ربما تؤدي إلى الإدمان. فالشخص الذي يصاب بما يسمى بالقلق الاجتماعي أو قلق المواقف شخص إذا دخل على مجموعة من الناس الأكبر منه سناً أو الأعلى مركزاً يشعر بالقلق فيركن إلى تعاطي الخمر للتخفيف من القلق.

كذلك مرض الإجداب، فكثير من الأفراد الذين يعالجون في عيادات الطب النفسي يشكون من الإدمان على الخمر، ولكنهم مصابون بمرض الإجداب الداخلي، ويستخدمون الخمر أثناء فترات الإجداب.

الأمراض الجسمية:

إن الأمراض الجسمية لا تؤدي بالإنسان إلى الإدمان على الخمر، ولكنها قد تؤدي به إلى الإدمان على المورفين والأفيون. فعند الإفراط في استخدام المسكنات المشتقة من الأفيون لعلاج الأمراض الشديدة كالمغص الكلوي أو المراري وما شابه ذلك، ربما يصبح الشخص مدمناً في وقت من الأوقات.

دور البيئة المحيطة بالفرد:

إن البيئة المحيطة بالفرد لها دور مهم في التأثير على الفرد.

الأسرة والتقاليد: إن الأسرة هي المدخل الذي تنقل عن طريقه كل القيم والتقاليد التي تكوّن شخصية الطفل حيث أن الطفل يحرص على تقليد أسرته في كل شيء فإذا كان سلوك الأسرة سيئاً وأفرادها يتعاطون الخمر فإن الطفل سيقبل على تعاطي الخمر أو المخدرات وبالتالي نجد أن احتمال انخراط الطفل في مثل هذا السلوك السيء قد يصل إلى ٦٠ ٪.

العوامل الاقتصادية:

تعد صناعة الخمر صناعة مربحة في بعض دول أوروبا وأميركا، فالدولة تستفيد من الضرائب التي تفرض على صنع الخمور. وبالتالي يكثر الاستهلاك ومن ثم تزداد نسبة الإدمان على المسكرات.

الإدمان الناتج عن الفقر أو الغنى:

ذكرنا سابقاً أن الفقر والغنى والتفكك الاجتماعي والبؤس قد تؤدي إلى الإدمان على المسكرات، ولكن ثبت أيضاً أن المجتمعات الغنية والمتقدمة صناعياً تعاني من مشكلة الإدمان على المسكرات. بالرغم من الوفرة ورغد العيش. ومع ذلك نجد أن الإدمان على المخدرات ينتشر بشكل خاص بين الفئات التي تعاني من التفكك الأسري ومن البؤس ومن الظروف الاجتماعية السيئة التي يعيشون في ظلها.

المبحث الثاني
المشاكل الصحية الخطرة الناتجة عن الإدمان

للإدمان مشاكل عديدة منها الاجتماعية والصحية. ومن الآثار الجسمية للإدمان الالتهاب المزمن للمعدة ويصاحب ذلك عسر الهضم المزمن والقيء والقرحة في المعدة، وفي الاثني عشري، والتهاب البنكرياس أحياناً، كما يحدث تليف للكبد، ويحدث الإدمان هبوطاً في وظائف الكبد قد يودي بحياة المدمن. كذلك ينتج عن الإدمان أمراض في الجهاز العصبي ويحدث شلل أعصاب الأطراف، وتضخم القلب وأشياء أخرى.

وكما سبق أن ذكرنا فإن تليف الكبد هو من نتائج الإدمان على الخمر، وقد ثبت ذلك في فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م حيث تمّ منع توزيع الخمر فقل شربه في تلك السنوات، ودلت الإحصاءات الصحية في باريس أن نسبة الوفاة بتليف الكبد هبطت إلى ١٥ ٪ من النسبة المعتادة. وبعد توقف الحرب عام ١٩٤٥ م، زاد شرب الخمر، وبعد مضي ست

سنوات أي في عام ١٩٥٠ م، دلت الإحصاءات الصحية أن نسبة الوفيات زادت بنسبة ٦٠٠ ٪ بسبب تليف الكبد.

أما آثار الإدمان من الناحية النفسية والعقلية والاجتماعية فكثيرة.

أولاً ــ الآثار الاجتماعية لإدمان الخمر:

١ ــ من أهم هذه الآثار الاجتماعية الخلافات الزوجية وتبلغ نسبة الشكوى من الخلافات الزوجية ٥٢ ٪ من مجمل الآثار المترتبة على الإدمان على الخمر.

٢ ــ إهمال العمل والتغيب عن أداء العمل.

٣ ــ إقدام المدمن في بعض الأوقات على ارتكاب جرائم الاغتصاب، وجرائم الانتحار، وكذلك جرائم حوادث السيارات.

ثانياً ــ المضاعفات النفسية والعقلية:

تظهر هذه المضاعفات في مرحلة متقدمة نوعاً ما؛ وهي مضاعفات خطيرة. ومن هذه المضاعفات ما يلي:

١ ــ **الهذيان الرعاش:** وهو يصيب الإنسان في خلال ١٢ إلى ٢٤ ساعة من امتناع الشخص عن الخمر. فيبدأ الإنسان يشعر بأعراض مزعجة كالأرق، والتوتر الشديد، والقلق النفسي، والهلاوس البصرية المخيفة، والمعتقدات الوهمية الباطلة، والخلط، والرعشة الشديدة.

٢ ــ **نوبات التعتيم:** تصيب الشخص في مرحلة مبكرة نسبياً. فترى الفرد يشرب الخمر ثم يذهب لقضاء بعض الأعمال وهو لا يدري ما يفعل.

٣ ــ يسبب أمراضاً أخرى من ضمنها مرض يسمى (كرساكوف) الذهان، ويعاني المدمن من النسيان بالدرجة الأولى، وترجرج قدرته العقلية. أي

أنه مرض عقلي ناتج عن ضرر وتلف خلايا المخ بسبب الخمر. وهو يتميز بالنسيان، وبتأليف أحداث وهمية لتغطية الفجوات الموجودة في ذاكرته.

٤ ـ **يصاب بالغيرة المرضية**: فالمدمن يصاب بمعتقدات وهمية باطلة، فتجده يشك في سلوك زوجته متهماً إياها بالخيانة. وقد يعتدي على زوجته أو يقتلها.

٥ ـ قد يعاني المدمن من الهلاوس السماعية المزمنة، وقد يعاني من الخوف وهذه هي المرحلة النهائية. أي أن المدمن يصاب بعطب كامل في المخ، فيفقد الذاكرة، ويصبح عاجزاً عن التفكير، ضحل الانفعال يشبه النبات.

وفي هذا البحث لم نتطرق لكل الجوانب المتعلقة بالإدمان ولم نتناول جوانب أخرى هامة، كالمهدئات، والأدوية النفسية وعلاقتها بالخمر من عدمه.

المبحث الثالث
علاج القرآن لإدمان المسكرات

لقد عالج القرآن هذا المرض بطرق متتابعة. فالمجتمع العربي في الجاهلية كان يتعاطى المسكرات التي كانت تشكل جزءاً من حياتهم الاجتماعية، وكان تعاطيها من أبرز الأشياء المتداولة في مجتمعاتهم. وبعد نزول القرآن بدأ علاج هذا المرض على عدة مراحل كل مرحلة لها دورها في التمهيد للإقلاع عن تعاطي المسكرات.

الفترة الأولى للعلاج من المسكر:

لقد نزلت الآية: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾[1]. أي ولكم مما أنعم الله به عليكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تجعلون منه خمراً يسكر. وهذه الآية كما ذكر الطبري نزلت قبل تحريم الخمر، ثم حرمت بعد ذلك[2].

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٧.

(٢) الطبري ١٤/١٣٤.

فالرزق الحسن كما قال ابن عباس هو ما أحل من ثمرتها، والسكر: ما حرم من ثمرتها. وكما ذكر ابن كثير، ناسب ذكر العقل هنا لأنه أشرف ما في الإنسان، ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها[1].

المرحلة الثانية:

جاء الأمر بأن ترك الخمر أنفع من شربه قال تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما...﴾[2].

فعندما جاء جماعة من الأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالوا افتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبان للعقل مسلبة للمال فأنزل الله الآية السابقة. فقد وجه الله محمداً، صلى الله عليه وسلم، لأن يخبر من حضروا إليه مستفسرين بأن في تعاطي الخمر والميسر ضرراً عظيماً وإثماً كبيراً ومنافع مادية ضئيلة، إلا أن ضررهما أعظم من نفعهما فإن ضياع العقل وذهاب المال وتعريض البدن للمرض في الخمر، وما يجره القمار من خراب البيوت ودمار الأسر وحدوث العداوة والبغضاء بين اللاعبين، كل هذا محسوس مشاهد وإذا قيس الضرر الفادح بالنفع التافه ظهر خطر المنكر.

المرحلة الثالثة:

بعد أن قلل المسلمون من شرب الخمر بنسبة كبيرة، نزل القرآن بتحريمها في سورة النساء، الآية ٤٣. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون...﴾[3].

---

(١) التفسير الكبير، ٢٠/٧٢.

(٢) سورة البقرة: آية ٢١٩.

(٣) أي لا تصلوا في حالة السكر لأن هذه الحالة لا يأتي معها الخشوع والخضوع بمناجاته سبحانه وتعالى. وقد كان هذا قبل تحريم الخمر. روى الترمذي عن علي، كرم الله وجهه، أنه قال: «صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: «قل يا أيها الكافرون، أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون»». فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى...﴾ الآية.

المرحلة الرابعة:

وبعد أن وضح للمسلمين كثرة مضار الخمر وما ينتج عنها في المراحل السابقة نزلت الآية الكريمة بتحريمه نهائياً. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[2]. الصيغة هنا الاستفهام ومعناه الأمر أي انتهوا[3]. فقد ذكر الله تعالى في الخمر والميسر مفسدتين: إحداهما دنيوية، والأخرى دينية. فأما الدنيوية فإن الخمر تثير الشرور والأحقاد وتئول بشاربها إلى التقاطع، وأما الميسر فإن الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى معدوماً لا شيء عنده وينتهي به الأمر إلى أن يقامر حتى على أهله وولده، وأما الدينية فالخمر تسبب غلبة السرور والطرب وذلك يلهي عن ذكر الله وعن الصلاة، ولاعب الميسر سواء كان غالباً أو مغلوباً فسيلهو عن ذكر الله.

إن المسلمين الأوائل قد برئوا من شرب الخمر وانقطعوا عن استعمالها وذلك باتباعهم ما ورد من التعاليم الإلهية، قال تعالى في سورة الإسراء، الآية ٨٢، ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾. إن الإنسان المدمن يجب ألّا يخدع نفسه فيظن أنه غير مدمن وأنه يستطيع أن يتغلب على هذا المرض بإرادته.

وينبغي علب المدمن أن يجد في نفسه الشجاعة الكافية ومن أسرته بأن يتوب إلى الله وأن يتمشى مع تعاليم الفرقان وأن يذهب إلى الأطباء المتخصصين بالطب النفسي ليقدموا له العلاج حين يأذن الله له بالشفاء.

□ □ □

(١) سورة المائدة: آية ٩٠.

(٢) سورة المائدة: آية ٩١.

(٣) قال في البحر: وهذا الاستفهام من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل: قد تلي عليكم ما فيها من المفاسد التي توجب الانتهاء فهل أنتم منتهون أم باقون على حالكم. راجع البحر المحيط ١٥/٤.

الفصل الثاني

المخدرات والسلوك الإجرامي

للمخدرات تأثير كبير على تصرفات المتعاطي لها، فبعض الآراء تقول بأن لبعض المخدرات تأثيراً على شخصية الفرد مما قد يؤدي إلى انحراف هذا الفرد في سلوكه. إن الإدمان على المخدرات يمكن أن يؤدي إلى ارتكاب الجريمة لعدة أسباب: منها، أنه ربما يؤدي إلى انحلال مكونات الشخصية، وتدني صفات الإنسان العقلية والجسمية، وكذلك يؤثر على مستوى دخل الفرد بانقطاعه عن العمل. كما يؤثر ذلك على إرادته مما يجعله ضعيف الإرادة عند أي إغراء لا يقدر على مقاومته؛ وسنتناول في البحوث التالية الإدمان على المخدرات، والتفسيرات لكيفية حدوث الإدمان، والدراسات التي تثبت أن للإدمان على المخدرات دوراً في انخراط المرء في عالم الجريمة.

المبحث الأول
إدمـان المخـدرات

إن عدد المدمنين على المخدرات يقل عن عدد المدمنين على الكحول في أنحاء العالم[1]. ولكن حسب البحوث المتعددة التي أُجْرِيت حول الموضوعين، وجد أن الإدمان على المخدرات يكون أشد خطراً على صحة المدمن النفسية

(١) د. عدنان الدوري: أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي. مرجع سابق، ١٩٧٦ م، ص ١٩٨.

والعقلية. هذا بالإضافة إلى أن هذه المواد تمثل مشكلة كبيرة للسلطات الأمنية من حيث مراقبتها والوقاية منها وعلاجها.

ولكون البحث يتعلق بالمواد المخدرة فإنه من الضروري معرفة المقصود بالمخدر وبالإدمان، والتعود على تعاطي المخدرات.

ما هو المخدر:

المخدِّر مادة تسبب في الإنسان والحيوان فقدان الوعي بدرجات متفاوتة، وقد ينتهي الأمر بمتعاطيه إلى غيبوبة تعقبها الوفاة.

وأنواع المواد المخدرة إما مواد طبيعية أو مركبة أو مخبرية؛ فالمواد الطبيعية، لا يضاف إليها أية مواد أخرى، كالحشيش والأفيون مثلاً. أما المواد المركبة فهي مزيج من المواد الطبيعية يضاف إليها مواد كيميائية كالمورفين والهيروين مثلاً؛ أما المواد المخبرية فلا يدخل في صناعتها أية مادة طبيعية كألادوية، مثل الامفيتامينات والبربيتشوات.

وتأثير هذه الأنواع الثلاثة يمكن أن يكون مهبطاً له صفات التسكين أو التهدئة أو التخدير، أو أن يكون مهبطاً، أو أن يحدث هلوسة لدى المتعاطي.

الإدمان:

عرفته منظمة الصحة العالمية بأنه «حالة التخدير المؤقتة أو المزمنة التي تنشأ عن تكرار تعاطي مادة مخدِّرة طبيعية أو مصنعة أو تخليقية»[1].

ما الفرق بين الإدمان النفسي والإدمان الجسمي للمخدرات:

معنى الإدمان هو التعود أو الاعتماد على المخدر. إن الفرد الذي لا يستطيع أن يتفاعل أو ينسجم مع الأشخاص لأنه خجول أو خائف أو ضعيف الشخصية مثلاً فإنه يتعاطى المخدر لكي يستطيع التغلب على خجله أو خوفه. لذا فإنه من ناحية نفسية يتعود على المخدر ويعتمد عليه لكي يساعده

---

(١) سانحة أمين زكي، «المخدرات» بحث في الإدمان وطرق علاجه، بغداد مطبعة المعارف، ١٩٦٥ م ص ٦ ــ ١٧.

على حل مشكلته النفسية التي يعاني منها، وهذا ما يسمى بالإدمان النفسي. أما الإدمان الجسمي فإنه يحدث عندما يتعاطى الفرد بعض أنواع المخدرات التي تحدث تغييرات كيميائية في جسمه. وإذا لم يتعاطَ المخدر فإن جسمه لا يستطيع أن يقوم بوظائفه الطبيعية، وفي هذه الحالة تظهر على الفرد اضطرابات جسمية، مثل الارتعاش وتصبب العرق الغزير والقشعريرة أو الشعور بالحرارة أو سيلان الدموع والقيء وغيرها من الأعراض الجسمية، وفي الحد الأقصى يمكن أن يضطرب الجسم مما يؤدي إلى الموت، وهذا ما يسمى (طبيًّا) بأعراض الانسحاب.

إذن، الفرق بين الإدمان النفسي والإدمان الجسمي أن الفرد في الحالة الأولى شخصيته الضعيفة تعتمد على المخدر حتى يتمكن من مواجهة المواقف الحرجة، أما في الحالة الثانية فإن الجسم هو الذي يطلب المخدر لكي يقوم بوظائفه الطبيعية.

لذا فإن الجسم يعتمد على المادة الكيميائية، وعند الانقطاع عن تناول المادة المخدرة فإن ذلك يسبب اختلافاً كبيراً في وظائف الجسم الحيوية المختلفة.

إن عامل الإدمان ليس عاملاً جبرياً مرتبطاً بالفرد بل هو عامل يقع الفرد تحت تأثيره باختياره، خلافاً للعوامل التي يقع الشخص تحت تأثيرها دون إرادته.

الاعتياد على المخدرات:

«ظاهرة نفسية مزاجية عقلية، تنشأ عن رغبة إرادية واعية، إلى درجة معينة، لا تصل إلى الاعتماد الجثماني»[1].

وعندما يتوقف الشخص عن تناول هذه المخدرات فإنه لا يصاحب ذلك حالة انسحابية كما في حالة الإدمان.

---

(١) د. عبود السراج: أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي. مرجع سابق، ص ٢٠٠.

تفسير حدوث الإدمان:

١ ــ **تفسيرات فسيولوجية**: وهي حالة يحدث أن تستجيب فيها أنسجة الجسم كيميائياً بسبب وجود المادة المخدرة في الدم، وعند انخفاض نسبة هذه المادة في الدم، يلزم الإنسان تناول كمية أكبر ليحصل على التأثير المرغوب.

٢ ــ **تفسير نفسي**: الإدمان في هذه الحالة يؤدي إلى نوع من العصاب (Neuroses)، «فالإدمان يعتبر مظهراً لاختلاف الشخصية ونتيجة لها»[١].

٣ ــ **تفسير اجتماعي**: يرجع الإدمان على المخدرات إلى عملية تسمى التقليد، حيث يحدث أن يقلد الشخص الآخرين من خلال الإقامة في منطقة اجتماعية لها ظروفها الثقافية والاجتماعية التي تزيد من قابلية الفرد للإدمان[٢].

تأثير المخدرات على تصرفات الإنسان:

نظراً لما للمخدرات من تأثير كبير على تصرفات المتعاطي لها، فإن هناك آراء كثيرة تقول بأن لبعض المخدرات تأثيراً على شخصية الفرد مما قد يؤدي إلى انحراف هذا الفرد سلوكياً[٣]. ولإيضاح علاقة المخدرات بالجريمة هناك طريقتان:

١ ــ تحرم بعض القوانين حيازة، أو استعمال المخدرات للأغراض غير الطبية.

٢ ــ صلة المخدرات بالسلوك الإجرامي.

هناك عدة دراسات كثيرة بحثت علاقة المخدرات بالسلوك الإجرامي. فقد قام (ساندوز ــ Sandoz) بدراسة ٦٠ مدمناً من المدمنين على مخدر المورفين

---

(١) الدوري: أسباب الجريمة. مرجع سابق، ١٩٧٦ م، ص ٢٠٠.

(٢) سانحة أمين زكي: «المخدرات» بحث في الإدمان وطرق علاجه. مرجع سابق، ص ١٦ ــ ١٧.

(٣) يرى بعض أطباء الأمراض العقلية أن الإدمان على المخدرات هو مرض عقلي، وأن المدمن لم يتعاط هذه المخدرات إلا لكونه يعاني من سوء توافق اجتماعي.

واتضح له أن ٤٢ منهم لم يسبق أن قبض على أحدهم بسبب ارتكاب الجريمة من قبل إدمانه، إلا أن كل واحد منهم ارتكب ما معدله ٨ جرائم بعد إدمانه.

وبدراسة أخرى لثمانية عشر مدمناً، وجد (ساندوز) أن معدل ارتكاب كل واحد منهم بلغ ٨,٣ جريمة بعد إدمانه، بينما كان معدل ارتكاب كل شخص منهم للجريمة قبل الإدمان ٢,٨ جريمة(١).

وبعض الدراسات ترى أن الإدمان ليس هو السبب في ارتكاب الجرائم؛ ون هذه الدراسات دراسة قام بها (بروبرج ـ Broberg) على ١٦,٠٠٠ جريمة ارتكبت في مدينة نيويورك خلال خمس السنوات بين الأعوام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٧ م، ولم يجد بين هذه الجرائم سوى ٦٧ جريمة ارتكبت من مدمنين على مادة المروانا(٢).

ودراسة أخرى ترى أن الجرائم التي ترتكب من قبل المدمنين هي مخالفة القوانين الخاصة بالتجارة، والحيازة، والاستعمال. فقد وجد (بسكور ـ Pescor) أن من بين ١٠٠٣ مجرمين من المدمنين على المخدرات كان ٣٧ ٪ منهم تجاراً للمخدرات، و٢,٦ ٪ منهم وجد بحوزتهم مخدرات، و٤ ٪ منهم زوروا وصفات طبية لكي يحصلوا على مخدرات، أي أن ٦٧ ٪ من مجموع المدمنين خالف قوانين المخدرات(٣). كذلك ذكر (الفريد لندسمث ـ Lindsmith) أن ٦٥ ٪ من بين ١٣,٠٠٠ جريمة إدمان كانت هي جرائم مخالفة لقانون المخدرات، و١٠ ٪ منها جرائم سرقات، و٢ ٪ منها فقط تمثل التعدي والإيذاء، والباقي مخالفات بسيطة(٤).

---

(١) Sandoz E. Robert, Oi. morphinizm, Journal of Criminal Law and Criminology, May-June, 1922.

(٢) Walter C. Reckless, The Crime Problem, Appleton-Century, New York: Crafts, Inc., 1955, pp. 354-355.

(٣) Walter C. Reckless, The Crime Problem, p. 324.

(٤) Alfred R. Lindsmith, Dope Fiend. Methodology, Journal of Criminal Law and Criminology, 1940, pp. 199-209.

إن الإدمان على المخدرات يمكن أن يؤدي إلى ارتكاب الجريمة لأسباب عدة منها:

١ ــ الإدمان ربما يؤدي إلى انحلال مكوِّنات الشخصية.

٢ ــ الإدمان ربما يؤدي إلى التدني في صفات الإنسان العقلية والجسمية.

٣ ــ الإدمان يؤثر على مستوى دخل الإنسان، من حيث انقطاعه أو تأخره عن العمل، مما يؤدِّي به في كثير من الأحيان إلى الفصل من عمله، وثانياً، المبالـغ الطائلة التي يدفعها ثمناً لشراء ما يحتاج إليه من المخدرات.

٤ ــ يؤثر الإدمان على مستواه الاجتماعي، حيث يكون منكمشاً على نفسه منقطعاً عن كسب عيشه مما يقلل من مستواه بين أفراد مجتمعه.

٥ ــ ازدياد حاجته الملحة إلى المخدر يدفعه إلى الحصول على المادة بأي شكل وبأي طريقة مما يضطره إلى ارتكاب جريمة السرقة لتغطية تكاليف المخدر المالية.

٦ ــ ازدياد نسبة اختلاط المدمن بالمجرمين للحصول على ما يحتاج إليه من مخدر ربما يؤدي به إلى الانخراط بجريمة مـع المجرمين.

٧ ــ المواد المخدرة تفقد الفرد إرادته، مما يجعله ضعيف الإرادة بحيث أنه عند أي إغراء لا يقوى على مقاومته في حالة الانقطاع الانسحابية المؤلمة.

المبحث الثاني
ظاهرة المخدرات في العالم العربـي

يواجه العالم مشاكل عديدة منها مشكلة المخدرات. والوطن العربـي الذي يشهد الآن انفتاحاً حضارياً يدفـع ضريبة هذا الانفتاح ممثلة في عدد من المشاكل التي أفرزتها الحضارة الحديثة ومنها مشكلة المخدرات. ولكي تتصدى الدول العربية لهذا الخطر، فلا بد لها أن تأخذ بمبدأ «الوقاية خير من العلاج» حتى لا تستفحل المشكلة ويصبـح من المستحيل القضاء عليها. ولمواجهة هذه المشكلة والوقاية منها، فإنه يلزم المزيد من الجهود المتكاتفة بين الدول العربية

الباب الثامن

الوقاية
من الجريمة ومكافحتها

تمهيـــد:

إن الوقاية من الجريمة هي الحيلولة دون تكوين السلوك الإجرامي لدى الإنسان، ومكافحتها إما بمنعها أو بردع من تسوِّل له نفسه ارتكاب الجريمة وذلك عن طريق الخوف من العقاب.

ومما سبق يتضح أن هناك اختلافاً في معنى المنع أو الردع.

الردع: يعني الوقاية والمنع. فالتخويف من العقاب يمكن أن يردع المجرم عن ارتكاب الجريمة، فمن واقع توضيح الجزاءات يمكن أن يتعدل سلوك الفرد سواء من الخوف من شدة الجزاء في الدنيا أو في الآخرة ومن ثم يمتنع عن ارتكاب أي سلوك منحرف.

ومما لا شك فيه أن الردع له دور فعال في الحد من الجريمة، ولولا فعاليته والمصلحة التي تعود على المجتمع من جراء تطبيق العقوبات في كثير من الجرائم وخاصة جرائم الحدود لما وضعها خالق البشرية سبحانه وتعالى.

ولكن عندما تفقد تلك العقوبات قوتها الحاسمة فذلك لا يعني أن هذا قصور منها ولكن يرجع ذلك إلى تطبيق تلك العقوبات أو عدمه، وعلى تطبيقها على كافة من أجرم، سواء كان فقيراً أو غنياً، ضعيفاً، أو قوياً أو عدم تعميم ذلك التطبيق.

ولا يفوتنا في هذه المناسبة توضيح دور المجتمع الإسلامي في بناء مجتمع سليم.

لقد اهتم الإسلام منذ بزوغه ببناء مجتمع سليم، فاعتنى بتربية وتهذيب الفرد لأن الفرد هو أساس المجتمع. فكما أن للفرد شخصية مستقلة تقوم بالأعمال الخاصة به، فكذلك له شخصية عامة كجزء من المجتمع ـ يشارك بما له من صلاحية المجتمع وهذا هو دور الجمهور في منع الجريمة ومحاربتها.

إن أهم عنصر في المجتمع هو الفرد، لذا فقد عُني الإسلام بتربية الفرد تربية سليمة قوية يقوم عليها مجتمع فاضل. إن للفرد في المجتمع الإسلامي حقوقاً كما عليه واجبات.

والتربية السليمة للفرد تبدأ بتربية الضمير الديني لديه كي يكون حارساً له من الانحراف سرًّا وعلانية. والضمير الديني هو الذي يربط الإنسان بالله، إنه سلطان قوي وله أثر فعال في توجيه سلوك الفرد[1].

وما يسمى بالضمير الديني، عبر عنه القرآن بـ«تقوى الله» قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[2] وقد رسم لهم السبل للوصول إلى التقوى، منها العبادات، كالصلاة والصيام، والزكاة، وحج البيت. إن التكامل الاجتماعي لا يقوم على العنصر المادي وحده بل يقوم على أساس من العلاقات الروحية القلبية «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[3].

والجريمة تبدأ أولاً في ضمير الإنسان وفكره قبل التنفيذ. «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[4].

إن تربية الضمير الديني لدى الإنسان لخير وقاية للمجتمع ومنع الجرائم

---

(١) الدكتور عبد العظيم شرف الدين «تكوين الضمير عند الفرد» مجلة الأزهر، الجزء السادس، السنة الرابعة والثلاثون.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٣) انظر فيض القدير: ٢ ـ ٢٧٧.

(٤) جزء من حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، رواه أحمد وأصحاب السنن، راجع فيض القدير: ١ ـ ٣٠.

عنه، لأن تربية الضمير تبعد الأنانية ومن ثم تتغلب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

وحقوق الفرد أمّنها الإسلام له لرفع مستواه وتمكينه من المشاركة في العمل لصالح المجتمع، وتحفظ له كرامته، وتنمّي فيه المواهب ليتمكن من استخدام قوته العقلية والجسمية، وأهم حقوقه هي المساواة والحرية.

والمساواة تتضح من قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

إن هذا النص فرض المساواة بين الناس بصورة مطلقة، فلا فضل لفرد على فرد بسبب جنسه أو لونه أو سيادته. فمن مبدأ المساواة ما روي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سمع أباذر الغفاري يقول لرجل أسود أغضبه: يا ابن السوداء فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال «طف الصاع، طف الصاع ــ أي تجاوز الأمر حده ــ ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى». وعندما سمع ذلك أبو ذر تدخل ضميره الديني وأدرك أنه أخطأ فوضع خده على الأرض وقال للأسود: «قم فطأ خدي»[2].

كذلك ساوى الإسلام بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية تحقيقاً للوحدة الاجتماعية. واختلاف الإنسان المسلم من غيره هو بالعقيدة حيث لا مساواة فيها. والقاعدة في الإسلام تقول بأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا مع تركهم ما يدينون به حيث «لا إكراه في الدين» كما إن من حقوق الفرد ضمان الحرية له بحيث يكون عزيزاً مقداماً ليكون قادراً على أداء واجبه على الوجه الأكمل.

فالحرية لا تعني الانسلاخ من كل القيود، فالانطلاق في ممارسة بعض الأشياء ربما يكون اعتداء على حريات الآخرين بحيث يدفعها إلى رد فعل يؤدي

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٢) صحيح البخاري: ١ ــ ١٥.

إلى الخصومة. ولا بد أن يدرك الإنسان حقوق الآخرين عليه محكِّماً عقله مسيطراً على الأهواء النفسية.

إن الأفراد ليسوا سواسية في احترام حقوق الآخرين، لذا لا بد من إيجاد قيود خارجية تعنى بحماية الحرية لا أن تكون قيوداً عليها.

إن الحرَّ هو الإنسان الذي يضبط نفسه ويسيطر على إرادته وأهوائه، إلى الحد الذي يعرف ما له وما عليه؛ إن ضبط النفس عند الغضب أمر مهم. فعند الغضب يتملك الإنسان الهوى ولكن إذا ملك الإنسان نفسه في مثل هذا الظرف فإنه هو الإنسان الحر، لأنه حرر نفسه من وطأة الهوى.

إن الحريات التي منحتها الشريعة الإسلامية للإنسان ليصبح إنساناً فاضلاً وإنساناً فعالاً في المجتمع هي: حرية الفكر، وحرية الاعتقاد، وحرية القول، وحرية العلم، وحرية التملك.

فمن ناحية حرية الفكر، أنعم الله على بني آدم بالعقل وطلب منهم أن يستخدموا عقولهم بدون تبعية ولا تقليد ولا جمود، وقد وصف القرآن الذين لا يستخدمون عقولهم بأنهم ﴿كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾[1] كما ذكر القرآن لمثل هذه الحالة فيقول﴿وما يذَّكَّر إلّا أولو الألباب﴾[2].

أما حرية الاعتقاد، فالإسلام هو أول دين أباح حرية الاعتقاد للفرد وحماها، طبقاً للشريعة الإسلامية، فكل فرد حرٌّ في أن يعتنق من العقائد ما شاء دون أن يحمل على تركها. إلا إذا صاحب ذلك أذى بأي شكل. كما اتخذت لحماية الاعتقاد طريقتان، إلزام الناس باحترام الآخرين والمعاملة بالحسنى فقط لإيضاح ما هو غير لائق. وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربُّك لآمنَ من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[3]. كما ألزمت الشريعة الإسلامية صاحب العقيدة بحماية عقيدته، فإذا لم يستطع فعليه أن يهاجر إلى بلد آخر

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٤.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٩.

(٣) سورة يونس: آية ٩٩.

يستطيع أن يمارس شعائر عقيدته فيه. قال تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[1].

أما حرية القول، فإن المبدأ العام هو عدم تقييد حرية القول إلا بما يمنع من استعمال العدوان والإساءة. قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[2] وقوله: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾[3] فالشريعة الإسلامية جعلت حرية القول حقًا لكل إنسان وواجباً عليه عندما تهان الأخلاق والمصالح العامة.

أما حرية التملك، فالشريعة الإسلامية قررتها ضمن حدود معينة: عدم جلب الضرر للآخرين، وأداء حق التملك للجماعة، والتملك ليس مطلقاً بل على الأشياء القابلة للتملك[4]. فالسلطة لها حق فرض القيود الخاصة على التملك إذا كان ذلك يتعارض مع مصلحة الجماعة.

□ □ □

(١) سورة النساء: آية ٩٧.
(٢) سورة النحل: آية ١٢٥.
(٣) سورة النساء: آية ١٤٨.
(٤) أبو زهرة: التكافل الاجتماعي، ص ١٠.

الفصل الأول

دور المجتمع في منع الجريمة

يقوم الإسلام ببناء مجتمع متكافل تتعاون فيه جميع القوى البشرية للمحافظة أولاً، على مصلحة الفرد، وثانياً، على مصلحة البناء الاجتماعي؛ إن مثل هذه الأمور تتحقق بالالتزام بمصالح الآخرين والقيام بها، والإيمان بمسؤوليتهم تجاه بعضهم بعضاً. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً»(١). «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢).

إن الوقاية من الجريمة سياسة وعمل. فالسياسة تضع وتحدد الخطوط الأساسية للوقاية، أما العمل فهو التنفيذ لكل السياسة بواسطة الأجهزة والمؤسسات المعنية بالوقاية.

والتصدي للجريمة من خلال الوقاية يتم عن طريق مرحلتين: مرحلة أولى متقدمة تناقش عوامل الانحراف والظروف المحيطة بالفرد التي يمكن أن تؤدي به إلى الانحراف، ومرحلة رقابة عامة من الجمهور على أفراده، ومرحلة متأخرة تهتم بعلاج المنحرف، وفي هذا الفصل سوف نناقش:

المرحلة الوقائية قبل الانحراف

من واقع الدراسات التي أجريت على الظروف المحيطة بالمنحرفين

---

(١) حديث متفق عليه.

(٢) حديث متفق عليه.

أو المجرمين، اتضح أن هناك عوامل ومسببات تتكاتف وتكون السبب في وقوع هؤلاء الأشخاص في الانحراف والإجرام[1]. وتتصف هذه المرحلة بغياب التوجيه التربوي والعناية من قبل الوالدين، وانعدام الرقابة الذاتية، وعوامل أخرى، كانعدام التعليم وقلة إمكانية الحصول على عمل، وتوافر مثل هذه الظروف مع تعاطي المسكرات أو المخدرات أو الاختلاط مع جلساء السوء، أو التأثر بالأفلام الهدامة، يزيد خطر الانحراف، لأن هؤلاء الأشخاص يرون أن الآخرين لا يفهمونهم وينبذونهم وهذه هي من أخطر الأوضاع.

للحيلولة دون وقوع مثل هؤلاء الأشخاص في الانحراف لا بدّ للجهات المختصة من دراسة الأوضاع لمعرفة الأسباب أو العوامل المهيئة لحدوث هذا السلوك ومعالجتها بصورة تضمن منعهم من الانخراط في ذلك السلوك.

فالأمر يتطلب مشاركة فعالة من قبل المواطنين لمعالجة الأوضاع المهيئة للانحراف أولاً، وعمل خطط للتأهيل والتوجيه التربوي للفرد ثانياً.

١ ـ الرقابة العامة على المجتمع:

لقد منح الشرع الإسلامي جمهوره حق الدفاع عن نفسه وعن مجتمعه فجعله رقيباً بدون خيار على النظام الاجتماعي لضمان استمراره وبسط الأمن للجميع. ففي الرقابة على المجتمع ذكر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في حديث السفينة ما معناه «فإن أخذوا على يديه انجوه ونجوا بأنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم».

إن الفساد إذا سرى في بعض أجزاء المجتمع فإنه يسري إلى بقية الأجزاء الأخرى إلا إذا أغلق المصدر ووقف ضد التيار المعادي للأنظمة الاجتماعية. فالرقابة ضرورة لحفظ حقوق الإنسان وحفظ عقيدته، ونفسه، ونسله، وماله، وعقله[2]. إن مسؤولية الجماعة في مكافحة

---

(١) دكتور محمد شلالا، الخطورة الإجرامية، بغداد، عام ١٩٨٠ م.

(٢) الإمام الغزالي: شفاء الغليل، ص ١٦١، ذكر هذا الكتاب في كتاب المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي، الرباط، دور الجمهور في الوقاية من الجريمة، (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م) ص ٢٩.

الجريمة شأنها التمهيد للأفراد للتمتع بكامل حقوقهم، فهي فرض على أفراد المجتمع قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1]. إن على المجتمع الإسلامي أن يأخذ بيد المنحرفين ويحارب الطرق المسبِّبة لتفشي الجريمة والفساد في أي مجتمع، فإن أعضاء هذا المجتمع مسؤولون عن التهاون. ومن أمثلة تهاون المجتمع ذَكَر الله تعالى في القرآن بني إسرائيل حين أهملوا رقابة مجتمعهم لتفشي الفساد فيه، قال تعالى: ﴿لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهَوْن عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون﴾[2].

٢ ـ تبليغ الجهات الأمنية عن أي أعمال مرتابة:

سواء كان ذلك في الحارة التي تسكن فيها أو في المدينة التي تعيش فيها، فالإنسان يجب أن يكون رقيباً على نفسه وعلى أفراد مجتمعه، فلا يترك الأمن لرجال الأمن وحدهم، فكل مواطن يجب أن يكون هو أيضاً رجل أمن. ففي الحديث «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته». إن المسؤولية في حدود طاقة الإنسان، وما زاد عن ذلك فالله أمر في كتابه العزيز ﴿لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٦][3].

٣ ـ الرقابة على النفس بإيقاظ الضمير:

يعتبر إيقاظ الضمير الإنساني أعظم طريقة لمكافحة الجريمة. فواقع الشريعة الإسلامية أنها تعاقب على ما هو شر في حكم الأخلاق عقاباً دنيوياً وعقاباً آخروياً. ومن هذا المنطلق وجب إيقاظ الضمير الإنساني من خلال طرق متعددة، أولها وأقربها يبدأ في الأسرة، ومن ثم من خلال وسائل الإعلام أو من خلال محاضرات وندوات علمية. وتتجلى فائدة إيقاظ الضمير في الآتي:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٣) محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، ص ١٢.

(أ) يمنع الوقوع في الجريمة: فعندما يستيقظ الضمير الديني، يختفي سبب من أسباب الجريمة ألا وهو الحقد، وبعض الأشخاص يقعون في الجريمة بسبب حقدهم على المجتمع. وانعدام صلة الرحم والتآلف بين بعضهم والبعض الآخر. إن تربية الضمير تقوِّي الألفة، وتشد الصلة، وتذهب الحقد، ويدرك الفرد أن الحقد وزر عليه، وأن هناك يوماً آخر ينال فيه كل إنسان حسابه، وهذا هو العزاء الروحي الذي يقتلع من النفس كل جرائم الاعتداء والرغبة فيه. وبذلك يأتلف المجتمع آخذا بقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «المؤمن إلف، ألوف فلا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» وإذا ائتلف مع المجتمع لا يؤذيه[1].

(ب) إيقاظ الضمير يسهل الإثبات: فعند مشاهدة إنسان لإنسان آخر يرتكب جريمة ضد المجتمع، فإنه يقوم بالتبليغ عنه تنفيذاً لحكم الله في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإنْ تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعلمون خبيراً﴾[2]. ولقد كان من قوة الضمير أن الرجل يأخذ ولده إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليقيم عليه الحد إذا وجب عليه الحد[3].

(ج) وبإيقاظ الضمير الديني يدرك الفرد بأن ما يعمله مراقب مهما قل عدد رجال الشرطة في مجتمعه، فهو مراقب من الله وسوف يجد ما فعله مسجلاً عليه في الآخرة وسيجازى عليه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

٤ ــ رقابة الإنسان لمن يعول:

لم يجعل الإسلام رقابة بني الإنسان على نفسه فحسب، بل جعله مسؤولاً عن كل شخص يرعاه «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته». فالرعاية

---

(١) محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، ص ١٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٣) محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، ص ١٢ ــ ١٣.

الجيدة لها دور فعال في منع الإنسان من الوقوع في سلوك منحرف، لذا فالتوجيه والتربية السليمة تبدأ في البيت ومنها إلى المجتمع.

٥ ــ الاهتمام بالحدث قبل انحرافه ويكون على نوعين:

(أ) اهتمام وقائي خاص، للمارقين من سلطة ولي الأمر، والأطفال المشردين، والأطفال المهددين بالانحراف لتفكك في الأسرة، والأطفال الذين يخشى عليهم من الانحراف لأسباب أخرى، ونعني بهذه الفئات في المملكة العربية السعودية دُورَ التوجيه الاجتماعي التابعة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

(ب) اهتمام وقائي عام، وهو لكل من هم في حاجة إلى الرعاية ويعنى بهؤلاء في المملكة العربية السعودية:

١ ــ دُور التربية الاجتماعية (دور الأيتام سابقاً).

٢ ــ دور التربية النموذجية.

٣ ــ دور الحضانة.

٦ ــ السجن:

إن الهدف من السجن ليس فقط مجرد وقاية المجتمع من المجرمين بحجزهم داخل جدران السجون وإنما أصبح الهدف الأساسي هو تهيئة المسجونين مهنياً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً لاستعادة مكانتهم في المجتمع.

ولما للسجن من آثار سلبية على النزلاء، فقد اتخذت تدابير أخرى غير السجن تطبق على بعض أنواع المجرمين غير الخطرين، والذين يرجى إصلاحهم ومن هذه التدابير الآتي:

(أ) نظام الاختبار القضائي، وهو نظام يتقرر بموجبه الإفراج عن المتهم دون الحكم عليه بالعقوبة ووضعه تحت الاختبار مدة معينة، وإذا لم يلتزم المتهم بالتنظيمات التي تفرض عليه مدة معينة خارج السجن، فإن ذلك يؤدي إلى إصدار الحكم عليه.

والهدف من هذا النظام إعطاء فرصة أخيرة للمنحرف في تعديل سلوكه خارج محيط السجن، يحيا حياة عادية متمتعاً بكل خصوصياته وحريته، لذا فإن نظام الاختبار القضائي تدبير علاجي يهدف إلى إعادة التأهيل والتكيف الاجتماعي للمنحرف ويكون ذلك تحت إشراف ومساعدة موظف تعينه المحكمة.

(ب) الإفراج الشرطي (البارول):

إنه نظام بموجبه يفرج عن المحكوم عليه بالسجن بعد أن يقضي جزءًا من فترة العقوبة داخل السجن، ويقضي باقي العقوبة خارج السجن ولكن تحت المراقبة خلال فترة معينة قد تعادل الفترة المتبقية من العقوبة، وإذا خالف أحد الشروط المعينة سلفاً، فإنه يعاد للسجن لاستيفاء بقية العقوبة المتبقية.

ومميزات هذا النظام إنه يجنب المحكوم عليه الأضرار التي ربما يتعرض لها السجين داخل السجن كمخالطة المجرمين وتعلمه لأساليب إجرامية أخرى، كما يتيح له فرصة العيش مع أهله والإشراف عليهم.

٧ ــ إجراءات أمنية (إيجاد نظام للعمد كمساعد لأجهزة الأمن):

(أ) يكون لكل حي عمدة، إلا إذا كان الحي كبيراً فيقسم إلى أجزاء، ولكل جزء عمدته الخاص.

(ب) يرتبط العمد بمدير الشرطة المحلية.

(ج) لا تعتمد أوراق العمدة إلاّ بعد تصديقها من الشرطة.

٨ ــ إيجاد جمعيات صداقة للشرطة:

تعمل الشرطة على إيجاد حوار مع المواطنين بالتعارف والاجتماعات في الحارات تحت شعار «التبليغ عن المشبوهين» ويهدف هذا العمل إلى أن يكون كل مواطن مسؤولاً (مراقباً) عن بيوت جيرانه ويقوم بالتبليغ عن أي اشتباه في المترددين على الحارة من غير ساكنيها، ويوضع على الأبواب ملصقات تحذر بأن البيت مراقب من قبل الجيران.

□ □ □

الفصل الثاني

الوقاية من الجريمة بعد وقوعها

١ ـ التبليغ عن الجرائم:
حفاظاً على سلامة المجتمع وحفظه متكاملاً، فقد كان الإبلاغ عن الجرائم ـ بدون استثناء ـ واجباً على كل مسلم. لأن معظم الجرائم لا يمكن اكتشافها عن طريق السلطة. بل يكون عن طريق الجمهور نفسه بإبلاغ السلطات ذلك.

٢ ـ الإدلاء بالشهادة على وقوع الجرائم: فالإدلاء بالشهادة ربما يكون هو الدليل الوحيد للقبض على المجرم وتخليص المجتمع من مشاكله، وأداء الشهادة واجب في رأي كثير من الفقهاء[١]. وحذر الله سبحانه وتعالى من كتمان الشهادة، قال تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾[٢].

٣ ـ المشاركة في تنفيذ عقوبة المجرم. ففي بعض الجرائم تكون المشاركة فعلية، كتنفيذ حد الزنا وشرب الخمر.

٤ ـ مقاطعة المجرم: فعندما تتعذر إقامة العقوبة على شخص ما لأسباب طارئة، فعلى أفراد المجتمع محاربة هذا الشخص بمقاطعته، فلا يطعم

---

(١) راجع النشرة التي تصدرها المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي، دور الجمهور في الوقاية من الجريمة، (١٤٠١ هـ)، ص ٥٠.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٣.

ولا يجالس ولا يتعامل معه حتى تضيق به الأرض ذرعاً وتقام عليه العقوبة. «فقد عاقب الله تعالى الثلاثة الذين تخلفوا بمقاطعة الجمهور لهم، حتى ضاقت بهم الأرض ذرعاً وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه»[1].

وتقع على الجمهور مسؤولية تفشي الجريمة في مجتمعه لتهاونه في السيطرة على المجرمين والاختلاط بهم، فإن أفراد الجمهور يحملون جزءًا من وزر الجاني، هذا هو السبب في أن العاقلة تتحمل قسطاً من دية القتيل في القتل العمد وشبه الخطأ، وعندما يكون القاتل أحد أفراد العائلة، وتتحمل الجماعة الدية في حالة عجز الفاعل عنها[2].

٥ ــ وقاية أفراد المجتمع من الفقر: إن الإسلام ضمن معيشة الفئات المحتاجة من الجمهور؛ فلقد فرض في أموال المسلمين جزءاً مستمراً يفي بحاجتهم ليستطيعوا القيام بأعمالهم على الوجه الأكمل.

٦ ــ وقاية أفراد المجتمع من الجهل: نظراً لما للجهل من عواقب وخيمة على الفرد نفسه ومن ثم ينعكس ذلك على المجتمع بأجمعه، لذا فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[3]، وتعليمه لمن لا يعرف واجب، قال الله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلّا الذين تابوا وأصلحوا وبيَّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم﴾[4]، وفي الحديث، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علما وكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة»[5].

---

(١) شفاء العليل، ٢١٢، ونيل الأوطار، ٧ ــ ٣١٤.

(٢) المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي، جامعة الدول العربية، دور الجمهور في الوقاية من الجريمة، المملكة المغربية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، عام ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م، ص ٥٢.

(٣) المشكاة، ص ١ ــ ٧٦.

(٤) سورة البقرة: الآيتان ١٥٩ ــ ١٦٠.

(٥) فيض القدير، ص ٣ ــ ١٤٥.

إن الوقاية من الجهل لا تعني التعليم فحسب بل أيضاً إتلاف ومحاربة ما من شأنه تشويه الشريعة الإسلامية، وما من شأنه الإضرار بالآخرين.

٧ ــ وقاية الأسرة من التفكك: نظراً لأن انفصال الزوج عن الزوجة نتيجة لمشاكل عائلية، يؤدي في كثير من الأحيان إلى تفكك الأسرة، وتغير مستواها الاجتماعي، فقد رأى الإسلام أنه عندما يحدث خلاف بين الزوجين، فإن الإصلاح بينهما ضروري قبل أن ينتهي بهما الأمر إلى الانفصال بدون رجعة. قال تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها. . .﴾[1].

٨ ــ ومَنْ وَقَع من الأحداث في الانحراف فلا بد من وضعه في مكان يُؤَمِّن له الحياة بعيداً عن المؤثرات السلبية حتى تتم معالجته أو تقويمه ومن ثم إخراجه إلى مجتمعه للعمل كإنسان يساهم في تطوير حياة مجتمعه، وكمثال لذلك، فقد أنشىء في المملكة العربية السعودية دور للملاحظة الاجتماعية في ١٣٩٢/١٠/٢٥ هـ تشرف عليها الإدارة العامة للرعاية الاجتماعية وأهدافها:

(أ) رعاية الحدث من الذكور بين سن السابعة إلى الثامنة عشرة من الفئات التالية:

١ ــ الحدث رهن التحقيق أو المحاكمة.

٢ ــ الحدث المحكوم عليه من قبل القاضي للإقامة بها.

(ب) دراسة أسباب الانحراف لدى الأحداث واقتراح الحلول المناسبة لها.

□ □ □

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٥.